السنة الأربعون بعد المئة

فيها هلكَ أبو داود خالد بن إبراهيم والي خراسان، وولَّاها أبو جعفر لعبدِ الجبار ابن عبد الرحمن الأزدي.

وسببُ هلاكه أنَّ جماعةً من الجند شغبوا عليه، وكان نازلاً بظاهر مرو في دار، وكان ليلاً، فصعد إلى سطحها، فأشرفَ من الحائط ونادَى أصحابَه، ليعرفوا صوته، فانكسرَت آجُرَّةٌ تحت رجله، فسقط وتكسَّر ظهره، فمات، وقام عاصم صاحب شرطته بخراسان حتَّى قدم عبد الجبار، فرفعَ إليه أنَّ جماعةً من القواد مائلين إلى آل أبي طالب، منهم مُجاشع بن حريث الأنصاريّ صاحبُ بخارى، وأبو المغيرة خالد بن كثير مولى تميم صاحب قوهستان، والحريش بن محمد الذهلي، فضربهم ضرباً مبرحاً، وقتلَ بعضَهُم، وحبسَ بعضاً، وكان فيمن حبس الجنيد بن خالد الثعلبيّ[1]، ومعبد بن الخليل المُرِّيّ[2]، وغيرهما.

وفيها أحرم بالحج أبو جعفر من الحِيرة، ومضى إلى مكة، فوقف بعرفة وخطب فقال: أيُها الناس إنَّما أنا سلطانُ الله في أرضه، أسوسُكُم بتوفيقه ورشده، وخازنُه على فيئه، أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه، وقد جعلني الله عليه قُفلاً، فإن شاء فتحني، وإن شاء أقفلني، فارغبُوا إلى الله في هذا اليوم الشريف، وسلُوه أنْ يهبَ لي ولكم من فضله فهو اليوم الذي قال فيه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية[3].

وفي هذه الحجة قال أبو جعفر للربيع: انظر لي رجلاً يُعرِّفني دورَ النَّاس بالمدينة ولا يكلِّمني إلَّا جواباً، فجاءه برجل من أهل المدينة، فأطلقَ له ألف درهم، ولم يكلِّمهُ إلَّا جواباً، ولم يعطوه شيئاً، فجعل يسأله: هذه الدار لمن؟ فيقول: دار فلان، حتى قال: هذه دارُ عاتكة، فعجبَ أبو جعفر من ابتدائه بكلامٍ لم يسأله عنه، ثم فكَّر، فإذا الرجل قصدَ قول الأحوص من قصيدته التي يقول فيها:

---

(١) في تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٣، وتاريخ الإسلام ٣/ ٦٠٨: الثغلبي.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٣: المزني.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٨/ ٨٩.

يـا دار عـاتـكـة الـتـي أتـعـزَّلُ

وأراد بهذا: [من الكامل]

وأراكَ تـفـعـلُ مـا تـقـولُ وفـيـهـم مَـذِقُ الـلِّـسـانِ يـقـولُ مـا لا يـفـعـلُ[1]

فضحك المنصور وعلم أنَّهم لم يعطوه شيئاً، فأمر له بها.

وفي هذه الحجَّة استعدَى الجمَّالون على أبي جعفر إلى محمد بن عمران الطلحيّ قاضي المدينة، وقالوا: استأجرنا وجمالَنا من الكوفة إلى ها هنا ولم يعطنا شيئاً، فقال القاضي لكاتبه: اكتب لهم ليحضرَ معهم مجلسَ الحكم فينصفَهم، فقال له: أوتعفني فإنَّه يعرف خطِّي، قال: لا أعفيك، فكتب نمير وختَمَه الطلحيُّ وقال: والله لا يذهب به سواك، قال نمير: فأخذتُه ومضيت به إلى الربيع الحاجب، فأخذَه ودخلَ به على أبي جعفر، ثمَّ خرج فقال لمن حضر من وجوه أهل المدينة والأشراف: أميرُ المؤمنين يسلِّمُ عليكم ويقول: قد دعيتُ إلى مجلس الحكم، فلا أعلمنَّ أحداً قام إليَّ إذا خرجت، ولا يبدأني بسلام، ثمَّ خرج والمسيّبُ بين يديه، والربيع وأنا خلفه، وهو في إزارٍ ورداء، فسلَّم على الناس، فما قامَ إليه أحدٌ، فدخلَ المسجدَ فبدأ بالقبر، فسلَّم على رسول الله ﷺ، وكان الطلحيُّ متكئاً فقعد واحتبَى بردائه، وجاءَ أبو جعفر فجلس، فوالله ما كلَّمه كلمةً، ولا تحرَّك له، ودعا بالحمَّالين، فادَّعوا عليه، ولم يكن له بينة فقضَى عليه لهم، ثمَّ قام أبو جعفر ومضى، وقال للربيع: إذا قام مَنْ عنده من الخصوم فائتني به، فقال: والله ما دعا بك حتى فرغ من أمر الناس جميعاً، ثم استدعاه، فلمَّا دخل سلَّم، فردَّ عليه وقال: جزاكَ الله عن دينك وعن نبيك وعن خليفتك وعن حسبك أفضل الجزاء، قد أمرت لك بعشرةِ آلاف دينار فاقبضها. فكانت عامَّة أموال الطلحيِّ من تلك الصلة[2].

وقال عبد الرحمن بن صالح: أنفقَ أبو جعفر في أهل المدينة في حجَّته هذه أموالاً عظيمة، أعطَى كلَّ شريفٍ ألف دينار، وفرَّق فيهم صحافَ الذهب والفضَّة والثياب، ولم

(١) ديوان الأحوص ص١٥٣، ١٦١.

(٢) المنتظم ٨/ ١٨١ - ١٨٢، وانظر أخبار القضاة لوكيع ١/ ١٩٣.

يدعْ منهم أحداً إلا أعطاه وأغناه، فيقال: إنَّ أحداً من الخلفاء لم يعطهم مثل ذلك[١].

ثمَّ سار إلى البيت المقدس وقد هدمتهُ الزلازل، فشكا إليه أهله، فقال: قد علمتُم الحال، وما عندي مال، وسوفَ أنظر فيه إن شاء الله تعالى، ثمَّ خرج من بيت المقدس ونزلَ دمشق، وسار على الشام حتى وافى الرقة، وأتى بمنصور بن جعونة العامري فقتله[٢].

وكتب إلى صالح بن علي وهو على الصائفة ببناء المصيصة، ثم سلك على البلاد الفراتية حتى أتى هاشمية الكوفة، وبعث بالروَّاد إلى مكان بغداد.

وكان العمال بحالهم إلَّا خراسان؛ فإنَّ عاملها عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي.

[فصل] وفيها توفي

سلمةُ بن دينار

أبو حازم المدني، مولى بني أشجع[٣]، وقيل: مولى الأسود بن سفيان المخزومي[٤] وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وكان أعرج عابداً زاهداً ورعاً ثقةً صدوقاً كثيرَ الحديث، لم يكن في زمانه مثله، وكان يقصُّ بعد الفجر والعصر في مسجد المدينة.

وقدم سليمانُ بن عبد الملك المدينة، وبعث إليه فأتاه، فسأله عن حاله، وقال له: يا أبا حازم [ما][٥] مالك؟ قال: لي مالان، قال: وما هما؟ قال: الثقةُ بالله، واليأسُ ممَّا

(١) المنتظم ٨/ ٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٥٠٤، والكامل: ٥/ ٥٠٠.

(٣) كذا في (ب) و(خ) و(د). والصواب ـ كما في طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٥ ـ مولى لبني شِجْع من بني ليث بن بكر...

وقال المزي في تهذيب الكمال ١١/ ٢٧٢: ويقال: مولى لبني شجع من بني ليث وهو شجع بن عامر بن ليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقال بعضهم: أشجع. وهو وهم، ليس في بني ليث أشجع، إنما فيهم شِجْع، وقال ذلك أبو علي الغساني الحافظ. اهـ.

(٤) هو قول البخاري، كما في التاريخ الكبير ٤/ ٧٨.

(٥) ما بين حاصرتين من (د).

في أيدي الناس.

وقالت له امرأته: قد هجمَ الشتاء علينا، ولابد لنا مما يصلحُنا من الثياب والطعام والحطب فقال: من هذا كلِّه بدّ، ولكن خذي فيما لابد منه، الموت، ثمَّ البعثُ، ثمَّ الوقوفُ بين يدي الله تعالى، ثمَّ الجنَّة أو النَّار.

وقال: إنِّي لأدعو الله في صلاتي حتى بالملح.

وكان له حمارٌ يركبُه إلى مسجد رسول الله ﷺ لشهود الصلوات.

وقال: ما مضى من الدنيا فحُلم، وما بقي فأماني.

وقال: لا يحسنُ عبدٌ فيما بينه وبين ربِّه إلَّا أحسنَ ما بينه وبين خلقه، ولا يعوِّر ما بينه وبين ربه إلَّا عوَّر الله ما بينه وبين خلقه، ولمصانعةُ وجهٍ واحدٍ أيسرُ من مصانعة الوجوه كلِّها، إنَّك إذا صانعتَ هذا الوجهَ مالت إليك الوجوهُ كلُّها.

وقال: إذا رأيتَ الله عزَّ وجلَّ يتابعُ نعمَه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

وقال: كلُّ نعمةٍ لا تتقرَّب بها إلى الله تعالى فهي بليَّة.

وكتب إلى الزهري: عافانا الله وإيَّاك أبا بكرٍ من الفتن، فقد أصبحتَ بحالٍ ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمَك، أصبحت شيخاً كبيراً، قد أثقلتكَ نعمُ الله عليك، بما أصحَّ من بدنك، وأطال من عمرك، وعلمت حُججَ الله بما علَّمك من كتابه، وبما فقَّهك من دينه، وفهَّمكَ من سنة نبيِّه ﷺ، فرمى بك في كلِّ نعمةٍ أنعمَها عليك، وكلِّ حُجَّةٍ يحتجُّ بها عليك الغرضَ الأقصى، ابتلى في ذلك شكركَ، وأبدى فيه فضلَه عليك، وقد قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] فانظر أيّ رجلٍ تكون إذا وقفتَ بين يديه وسألك عن نِعَمه عليك كيف رعيتها؟ وعن حججه كيف قضَيتها؟ ولا تحسبنَّ الله راضياً منك بالتعذير، ولا قابلاً منك التقصير، فإنَّ الله تعالى أخَذَ ميثاقَه على العلماء ليُبَيننَّه للناس ولا يكتُمونَه، وإنَّ أدنى ما ارتكبتَ وأعظم ما احتقبت أنَّك آنستَ الظَّلمَة، وسهَّلت لهم طريقَ الغيِّ بدنوِّك حيث أُدنيت، وإجابتك حين دُعيت، فما أخلقَك أن ينوَّه غداً باسمك مع الظلمة، وأخذك ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطباً تدورُ عليه رَحى باطِلهم، وجسْراً يعبرون عليك به إلى بلائهم، وسُلَّماً إلى

ضلالتهم، يُدْخِلُون بك الشك على العلماء، ويقتادونَ بك قلوب الجهَّال إليهم، فما أيسرَ ما عَمروا لكَ في جنْب ما خرَّبوا عليك، وما أقلَّ ما أعطوك في قدْر ما أخذوا منك، فانظر لنفسك، وحاسبها، واستقِلِ العثرةَ، فما يؤمنك أن تكونَ من الذين قال الله في حقهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩].

إنَّك لست في دار مقامٍ، قد أُوذِنت بالرحيل، فما بقاءُ المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان منها على وجَلٍ، فتجهَّز فقد دنا السفر، وداوِ[1] دينَك فقد سقم، ولا تحسبنَّ أنِّي أردتُ تعنيفك وتعييرك، ولكن أردتُ إيقاظَك، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ونحمدُ الله إذ عافانا ممَّا ابتلاكَ به، والسلام.

ومن كلامه: عند تصحيح الضمائر تغفرُ الكبائر، وإذا عزمَ العبد على ترك الآثام أتته الفتوح.

وما في الدنيا شيءٌ يسرُّك إلَّا وقد أُلزِق به شيءٌ يسوؤك.

وقال: إنَّ العبدَ ليعملُ الحسنةَ تسرُّه حين يعملُها، وإنَّها أضرُّ عليه من سيئةٍ يعملها، وإنَّه ليعملُ السيئةَ تسوءه حين يعملُها، وهي أنفعُ له من الحسنة التي عملَها؛ لأنَّه إذا عملَ حسنةً يرى أن له فضلاً على غيره، ولعلَّ الله يحبطُها، ويعمل السيئةَ فتحدثُ له خوفاً ووجلاً.

وقال: وجدتُ الدنيا شيئين؛ فشيءٌ هو لي لا أقدرُ على تعجيله قبل أجله، ولو طلبتُه بقوَّةِ أهل السماوات والأرض، وشيءٌ هو لغيري، لا أنالُه فيما مضى، ولا أرجوهُ فيما بقي، ففي أيِّ هذين أفني عمري؟

وكان يمرُّ بالفاكهة فيقول: موعدُك الجنة.

ومرَّ بجزَّارٍ فقال له: يا أبا حازم، خذ من هذا اللحم فإنه جيِّد، فقال: ما معي درهم، فقال: أنا أُنظِرك، فقال: فأنا أنظرُ نفسي.

ودخلَ مسجد دمشق فوسوسَ له الشيطانُ: إنكَ على غير وضوء، وإنَّك أحدثتَ بعد وضوئِك، فقال: ما بلغ نصحك إلى هذا الحد!

---

(١) في (خ) و (د): دار. والمثبت من (ب) وحلية الأولياء ٣/ ٢٤٩، وصفة الصفوة ٢/ ١٦٣.

وكان يبكي ويمسح بدموعه وجهه فقيل له: لم تفعل هذا؟ فقال: بلغني أنَّ النار لا تصيب موضعاً أصابَه الدمعُ من خشية الله تعالى.

واجتمع الزهريُّ وأبو حازم عند سليمان بن عبد الملك، فقال له سليمان: ما تقول في العلماء؟ فقال: أدركت العلماء وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، ولم يستغنِ أهلُ الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلمَّا رُئي هذا وأصحابه - وأشار إلى الزهري - تعلَّموا العلمَ لينالوا به الدنيا، إنَّ هذا وأصحابَه ليسوا بعلماء، وإنَّما هم رواة - وكان سليمان متكئاً، والزهريُّ عند رجليه - كان السلاطين يطلبونَ العلماء فيفرُّون منهم، واليومَ العلماءُ يطلبون الأمراء فيهربون منهم.

وقال الأصمعيُّ: بينا أبو حازم يطوف بالبيت، وإذا بامرأةٍ قد سفرَتْ عن وجهها وهي تطوف وقد فتنت الناس بحسنها، فقال لها: يا أمةَ الله ألا تستري وجهك؟! فقالت: يا أبا حازم، أنا من النساء اللواتي قال فيهن الشاعر: [من الطويل]

من اللَّاءِ لم يحججنَ يبغين حسبة ... ولكن ليقتلنَ البريء المغفَّلا
وتُعمي بعينيها القلوبَ إذا بدت ... لها نظرٌ لم يخطِ للحَيِّ مقتلا

فأقبل أبو حازم على أهل الطواف وقال: يا أهلَ بيت الله، تعالوا ندعُ الله عزَّ وجلَّ أن لا يعذِّبَ هذا الوجه بالنار. وبلغَ سعيدَ بن المسيب فقال: لو كانَ من أهل العراق قال: يا عدوَّة الله، ولكن ظُرْفُ أهل الحجاز.

وقال سفيان بن عيينة: كان أبو حازم ينشد: [من البسيط]

الدَّهرُ أدَّبني والصبرُ ربَّاني ... والقوتُ أقنعنِي واليأسُ أغنانِي
وأحكمتني من الأيَّام تجربةٌ ... حتَّى نهيتُ الذي قد كان ينهانِي

وقال سليمان العمري: رأيتُ أبا جعفر القارئ في المنام وهو على الكعبة، فقلت له: يا أبا جعفر، قال: نعم، أقرِئ إخواني مني السلام، وأخبرهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلني مع الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرئ أبا حازم السلام وقل له: يقول أبو جعفر: الكَيْس الكَيْس، فإنَّ اللهَ وملائكته يَتَراءَونَ[1] مجلسك بالعشيات.

(١) في النسخ: يتزاورون. والمثبت من تاريخ دمشق ٧/ ٤٨٦ (مخطوط)، وصفة الصفوة ٢/ ١٦٧، والمنتظم ٨/ ٣٥.

مات رحمة الله عليه سنة أربعين، وقيل: سنة أربعٍ وأربعين، وقيل: سنة خمس وثلاثين ومئة[١].

أسند عن ابن عمر وأنس، وروى عن كبار التابعين، وروى عنه الزهريُّ، ومالك، والثوريُّ، وخلقٌ كثير[٢].

عروة بن رُويم اللخمي

أبو القاسم، من الطبقة الرابعة من أهل الشام[٣]، وقيل: من الثالثة[٤].

أسند عن أنس، وسمع من عليِّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وروى عنه الأوزاعيُّ وأقرانه.

وأخرج له أبو نعيم أحاديث منها: عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ كاتب الشمال ليرفع القلمَ ستَّ ساعاتٍ عن العبد المسلم، فإن ندمَ واستغفرَ وتاب ألقاها عنه، وإلا كتِبت واحدة»[٥].

منصور بن جعونة

ابن الحارث بن خالد العامري[٦].

استعملَ عمرُ بن عبد العزيز رحمة الله عليه أباه جعونة على الدرب ومَلَطْية، فغزا وغنم، وأوفد ابنَه منصوراً على عمر بالخبر، فقال له عمر: هل أصيب أحدٌ من

---

(١) قال ابن سعد في طبقاته ٧/ ٥١٥: توفي أبو حازم في خلافة أبي جعفر بعد سنة أربعين ومئة.

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/ ٥١٥، وطبقات خليفة ص٢٦٤، وحلية الأولياء ٣/ ٢٢٩، وتاريخ دمشق ٧/ ٤٥٥ (مخطوط)، والمنتظم ٨/ ٣٢ (وفيات سنة ١٤١هـ)، وصفة الصفوة ٢/ ١٥٦، وتهذيب الكمال ١١/ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٩٦، وتهذيب التهذيب ٢/ ٧١.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٦٤.

(٤) طبقات خليفة ص٣١٢.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ١٢٤.

وقيل في وفاة عروة غير ذلك. انظر - بالإضافة إلى ما سبق - تاريخ دمشق ٤٧/ ٢٤٤ - ٢٤٦ (طبعة مجمع اللغة)، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٣٧، وتهذيب الكمال: ٢٠/ ١٠ -١١ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٩٢ .

(٦) كذا ذكر الطبري في تاريخه ٧/ ٥٠٤، وابن الأثير في الكامل ٥/ ٥٠٠ أنه قتل في هذه السنة. وفي تاريخ دمشق ١٧/ ٢١٤، والمنتظم ٨/ ٢٩ أن قتله كان سنة ١٤١ هـ.

المسلمين؟ فقال: لا، إلَّا رويجل، فغضب عمر وقال: رويجل رويجل، يكرِّرها، وقال: يجيء أحدُكم بالشاة والبقر، ويصابُ رجلٌ من المسلمين، وأنت تقول: رويجل؟! لا تلي لي أنت ولا أبوك ولاية أبداً.

ولمَّا ولي مروان بن محمد ولاه الرُّها، وكان أبو جعونة قد سكنها ومات بها، فلمَّا ظهرت الدولةُ العباسيَّة امتنعَ من البيعة للسفاح، وهرب، فلمَّا خلعَ عبدُ الله بن علي أبا جعفر ظهرَ منصور، فجعلهُ عبد الله على شرطته، وصار من وجوه قواده، فلمَّا سار عبد الله للقاء أبي مسلم خلَّف أهله وأمواله وأثقاله بالرُّها عند منصور، وانهزم عبد الله إلى البصرة، فجاء أبو مسلم إلى الرُّها فحصرَها مدة طويلة، ثمَّ نزل بالأمان فنقله أبو مسلم إلى ملطية، وأخربَ سور الرُّها وسائر أسوار بلاد الجزيرة، ولمَّا عاد أبو جعفر من الحجّ نزل الرقة، فوجد فيها منصور، وفي قلبه منه ما فيه، وقد أمَّنه، فجلسَ أبو جعفر يوماً يتحدَّث فقال: ألا تشكرونَ الله يا أهل الجزيرة إذ دفع عنكم الطاعون، فقال منصور: الله أعدلُ أنْ يجمعكم علينا والطاعون، فغضبَ أبو جعفر واحمرَّت عيناه، وأمر به فضربَ عنقه[1].

(١) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٧/ ٢١٤ (مخطوط)، وانظر أيضاً ترجمة أبيه جعونة في تاريخ دمشق ١/٤ (مخطوط).